

حجاجة الروابط اللغوية "نماذج مختارة من رسائل الجاحظ الأدبية"

The argumentation of linguistic connectors the literary letters of AL - Jahiz model

د.سليمة محفوظي *

جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس (الجزائر)، salima.mahfoudi66@gmail.vom

تاريخ الارسال 2021/02/05 تاريخ القبول 2021/12/21 تاريخ النشر 2021/12/27

ملخص:

حصرت الدراسات النحوية القديمة، وظيفة الروابط اللغوية في الربط بين الجمل، والقضايا، أما بعدها الحجاجي فقد برز مع ديكرود (DICROT) وفي إطار تنظيره للتداولية المدججة، إذ انتبه إلى الجانب المهم الذي يتمظهر في أبنية اللغة باعتبارها ظاهرة لغوية مهمة لها ارتباط مباشر في توجيه الحجاج، من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب، والدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي، وتوجيهه نحو الغاية التي يرتضيها الخطاب، وهذه المكونات هي ما يعرف أو يسمى بـ "الروابط والعوامل الحجاجية"، والتي تحدد طرق الربط بين النتيجة وحجتها.

تعدّ الروابط من الآليات الحجاجية اللغوية الهامة التي يتركز عليها التحليل الحجاجي التداولي للخطاب وسنركز في هذه الدراسة على بعض استعمالاتها وتحليلاتها لمعرفة مدى طاقتها الحجاجية ومساهمتها في الربط والتأثير والإقناع وتحقيق هدف الخطاب.

الكلمات المفتاحية: لغة؛ حجاج؛ رابط؛ حجة؛ نتيجة؛ خطاب.

Abstract

Older syntactic studies limited the function of linguistic connectors to linking sentences and acts. As for the argumentative dimension, it emerged with DICROT and as part of his theory of compact pragmatism, while he paid attention to the important aspect that appears in the structures of language as an important linguistic phenomenon that has a direct link in argumentation, in creating harmony in speech, and in pushing to achieve persuasion by appealing to the recipient, and directing it towards the goal that the speech satisfies, and these components are what are known or called "Argumentative connectors. We will focus in this study on some of their uses and manifestations to discover the extent of their argumentative energy and their contribution to linking, influence, persuade and achieve the purpose of the speech

Keywords: Langue; arguments; connecteur; argument ; résultat; discours

1. مقدمة:

يقوم الخطاب الحجاجي على نظام لغوي يزوج بين قوة الاستدلال، وحسن الربط بين الأقوال، من خلال توظيف مجموعة من الروابط اللغوية المناسبة، على اعتبار أن "سلوك الأفراد إزاء الخطاب مرهون بحجة صاحبه"⁽¹⁾. وقد بين المنظرون في مجال التداولية وتحليل الخطاب الدور الذي تنوط به الروابط، والأدوات اللغوية، باعتبارها "تعطي الانطلاقة للتضمنينات المتواضع عليها، وهي علامات تتدخل على مستوى الوصف الدلالي للغة الطبيعية، ولا تتعلق باستعمال نظام اللغة في الخطاب، والتواصل فقط، ولكنها تتعلق باستعمالات أخرى، ذلك أن مضمون الخطاب لا يحدّد باعتباره مضمونا ثابتا، ولكن باعتباره متغيرا، فهذه الروابط تفرض قيودا دلالية على التأويل التداولي، والذي يعتبر قيدا ذا طبيعة استدلالية، ومن هنا يحقق الوصف اللساني بنية دلالية عامة، في حين يقترح الوصف التداولي تأويلات تقتزن بطبيعة هذه الروابط"⁽²⁾ فالدور الذي ارتأته التداولية لوظيفة الرابط تتعدى الدور التقليدي للروابط إلى توجيه القول نحو جهة بعينها.

من هنا كانت الإشكالية المحورية لموضوع البحث هي: إلى أي مدى ساهمت الروابط الحجاجية التي وردت في بعض رسائل الجاحظ الأدبية، في تحقيق الغاية التأثيرية الإقناعية؟ والتي تفرعت عنها عدّة تساؤلات منها: كيف عملت الروابط على توجيه القول نحو وجهة محدّدة؟ ما أنواع الروابط اللغوية الحجاجية؟

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة لتوضيح جملة من المفاهيم والمتمثلة في ما يلي:

أ- أنواع الروابط الحجاجية

ب- دور هذه الروابط في إبراز الحجج والنتائج التي تساعد المتلقي استقبال الخطاب وفهمه

ج- العلاقة المنطقية التي تخلقها هذه الروابط بين الأقوال.

2 - الحجاج اللغوي:

تعتبر نظرية الحجاج اللغوي من أهمّ النظريات المعاصرة التي أرسى دعائمها ديكرود (Ducrot Oswald)، من خلال مؤلفه المشترك مع جان كلود أنسكومبر (Jean Claud Anscambre) (الحجاج في اللغة) وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغة الطبيعية، التي يتوقّر عليها المتكلم بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية⁽³⁾ أي: أنّها تهدف إلى دراسة الجوانب الحجاجية التي تحملها اللغة في جوهرها، وما تؤديه من وظائف حجاجية، وزيادة على الوظيفة التواصلية الإخباري. ومفاد هذه النظرية؛ أن الحجاج متجذّر في اللغة، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. ولا يمكن الاستغناء في ضوء نظرية الحجاج اللغوي عن الروابط، والعوامل الحجاجية، نظرا لدورها في توجيه الخطاب اتجاه قصد المتكلم.

3. الروابط الحجاجية: (Les connecteurs argumentatifs)

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطائية محدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تمّ تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصّة بالحجاج. فاللغة العربية

مثلا تشتمل على عدد كبير من الروابط الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية⁽⁴⁾ و نذكر من هذه الأدوات: (لكن ،بل ،إذن ،حيث ،لاسيما ،إذ ،لأنّ بما أن ،مع ذلك ...) وكلّ رابط من الروابط يؤدي وظيفة خاصّة.

1.3. تعريف الرابط

أ. في اللغة: يعود مفهوم الرّبط، والارتباط في أصله العربيّ، إلى الجذر اللغويّ (رَبَطَ)، وهو في معاجم اللغة العربيّة أصل واحد، يدل على شدّ، وثبات، وملازمة، مع زيادة في بعض المعاجم على هذا المعنى، فقد جاءت اشتقاقات المادة (ر.ب. ط ومعانيها في معجم العين: ربط يربط ربطاً، والرّباط هو الشيء الذي يربط به وجمعه ربط، والرّباط ملازمة ثغر العدو والرجل مرابط، والرّباط: مصدر رابطت: أيّ؛ لازمت، وفي قوله تعالى: ﴿يا أيّا الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون﴾ (آل عمران/ 200) يريد رباط الجهاد، ويقال: هو المواظبة على الصلوات الخمس مواقيتها، والرّباط: المداومة على الشيء، وفسّره الخليل مجازياً فقال: رجلٌ رابط الجأش أيّ؛ اشتد قلبه وعزم، فلا يفر من الرّوع. وارتبطت فرساً أيّ؛ اتخذته للرّباط: ويقال: ربط الله بالصبر على قلبه⁽⁵⁾.

أمّا في لسان العرب فقد وردت اشتقاقات ودلالات أخرى للمادة (ربط) فقال: والمربطة نسعة لطيفة تُشد فوق الخشب، مثل الملمزة. وقال: والربيط: الزاهد والحكيم الذي يربط نفسه عن الدنيا، أيّ يشدها ويمنعها، ونفس رابط، واسع أريض، وقال الزجاجي: الربيط الزاهد كأنه ضد الربيط الراهب⁽⁶⁾

يتضح ممّا سبق، أن مادة (ربط) في المعاجم العربية، جاء ليدل على معنيين: حقيقيّ، ومجازي. فالمعنى الحقيقيّ يدور حول: الشّد، والمنع والسّد، والعقد، والحزم، والوصل، والحبس والاقتران، فالرّباط: ملازمة ثغر العدو، والمربطة: الجماعة من النّاس، والمربوط: المعقود عليه، والجامع بين هذه التفسيرات في الدلالة هو الشّد، والتّلاحم، والملازمة التي يعود منشؤها إلى اشتراك الاشتقاقات في الأصل اللغويّ .

و أمّا المجازي فهو ما دلّ منه على: الشّفاء، والبرء، والصّبر، والطمأنينة والسّكينة، نحو ربط الله على قلبه: ألهمه الصّبر والطمأنينة، وقّاه وشدّه⁽⁷⁾ ونحو قوله تعالى: ﴿لَوْ أَن رَّبُّنَا عَلَى قَلْبِهِ﴾ (القصص/10) وربط الله وجعه عنه: أي أبرأه من مرضه⁽⁸⁾ وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح/4)

ب. في الاصطلاح: جاء في معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة: "أنّه العلاقة التي تصل شيئين بعضهما البعض ، وتعني كون اللاحق منهما متعلقا بسابقه " أما الرابط، فهو مورفيم من صنف الروابط (حروف العطف الظروف) يربط بين وحدتين دلالتين، أو أكثر، في إطار إستراتيجية حجاجيّة واحدة⁽⁹⁾

ونذكر في هذا الشّأن ما ذهب إليه الزجاجي (ت337هـ) في تعريفه للحرف حيث يرى أنّ الحرف هو المقابل للاسم والفعل "أنّه حدّ ما بين هذين القسمين، ورباط لهما، والحرف حدّ الشّيء ، فكأنّه لوصله بين هذين كالحروف التي تلي ما هو متصل بها"⁽¹⁰⁾ وهو لا يتعد كثيرا عما جاء في معجم المصطلحات النحويّة، والصرفيّة

ومن التّسميات التي أطلقها النّحاة على الحرف "حرف المعنى الأداة ،أداة الرّبط، والرّابط والرّابطة"⁽¹¹⁾.

2.3. دور الرّابط:

اهتم النّحاة العرب قديما بدور الرّوابط، وتصنيف الأدوات اللّغويّة، وتركّزت أعمالهم على معانيّ الحروف، وعرفت عندهم بحروف المعانيّ⁽¹²⁾ وتسميت أهل العربيّة أدوات المعانيّ من، وقد، حروفا، فلائمهم زعموا أنّهم سمّوها بذلك لأنّها تأتي في أوّل الكلام وآخره فصارت كالحروف والحدود⁽¹²⁾.

وذهب جلّ النّحاة العرب أن الحرف كلمة تدلّ على معنى في غيرها، وأن دوره الوظيفيّ لا يتعدى ذلك⁽¹³⁾ وهو ما يؤكّده الزجاجيّ حين ذهب إلى القول أنّ "حدّ حروف المعانيّ وهو الذي يلتمسه التّحويون، فهو أن يقال الحرف ما دلّ على معنى في غيره، نحو: من، إلى، ثم، وما أشبه ذلك، وشرحه أن (من) تدخل في الكلام للتبويض فهي تدل على تبويض غيرها لا تبويض نفسها، وكذلك، إن كانت لا ابتداء الغاية، كانت غاية غيرها، وكذلك سائر وجوهها، وكذلك (إلى) تدل على المنتهى فهي تدل على منتهى غيرها لا منتهى نفسها، وكذلك سائر حروف المعانيّ"⁽¹⁴⁾.

كما ميّز اللّغويون المحدثون بين الكلمات القائمة بذاتها، والأدوات "فالكلمات الكاملة لها مضمون أغنى، وأكثر تحديدا من الأدوات، هذه الأخيرة إن هي في حقيقة الأمر إلّا مجرد عناصر، أو وسائل نحوية ليس لها معنى مستقل خاص بها، إنّما ليست شيئا أكثر من وسائل، وظيفتها التّعبير عن العلاقات الداخليّة بين أجزاء الجملة"⁽¹⁵⁾ بمعنى أن الأدوات لا تؤدي معنى إذا كانت مستقلة أو قائمة بذاتها، والنّحاة يسمون الحروف أدوات الرّبط، لأنّ الكلمة إمّا أن تدلّ على ذات، وإما أن تدلّ على معنى مجرد أيّ؛ حدث، وإما أن تربط بين الدّات، والمعنى المجرد منها⁽¹⁶⁾ إذن، فالاسم يدل على الدّات، والفعل يدل على المعنى المجرد منها، أمّا الحرف فهو الرّابط.

و ركّز ديكرو (O. Ducrot) في النظرية الحجاجية على "الطاقة الحجاجيّة التي يمكن أن تحملها الرّوابط، والأدوات اللّغويّة، الأمر الذي فتح المجال للبحث في مدى فاعليّة الرّوابط في توجيه القول، نحو وجهة بعينها، مؤكّدا على ضرورة التّمييز بين الرّوابط الحجاجيّة (Les connecteurs) والعوامل الحجاجيّة (les opérateurs)، فالرّوابط تربط بين قولين، أو بين حجّتين، أو أكثر، حيث لكلّ قول أو ملفوظه دور واضح، ومشار إليه ضمن إستراتيجية حجاجيّة عامّة⁽¹⁷⁾ ومن أدواتها: بل لكن، حتى، إلّا... بما أن، مع ذلك، ربما، إنّما،⁽¹⁸⁾ ونميّز بين أنواع عديدة من الرّوابط، منها الرّوابط المدرجة للحجج والرّوابط المدرجة للنتائج، روابط التّساوق الحجاجي، وروابط التّعارض الحجاجي.

3.3. أنواع الرّوابط:

1.3.3. الرّوابط المدرجة للحجج:

من الصّيغ اللّغويّة ما يصطلح عليها بالفاظ التّعليل، وهو: تبيّن علّة الشّيء، ويستدل فيه بالعلّة على المعلول⁽¹⁹⁾ والعلّة: ما يؤثر في غيره، أو هي ما يتوقف عليه وجود الشّيء، ويكون خارجا ومؤثرا فيه. وعلّة الشّيء ما يتوقف عليه ذلك الشّيء، وهي تقابل المعلول⁽²⁰⁾ إذ لا يستعمل المخاطب "أيّ أداة من هذه الأدوات إلّا تبريرا

لفعله أو تعليلاً له، بناءً على سؤال ملفوظ به أو سؤال مفترض⁽²¹⁾. وستناول بعض الأدوات التي توجّه القول بحسب مقصد الحجاج. ومنها:

- الرابط "لأنّ"

تُعَدّ (لأنّ) من ألفاظ التعليل، بل من أهمّها، فقد يبدأ بها خطاب الحجاج، وتستعمل لتبرير فعل، كما تستعمل لتبرير عدمه⁽²²⁾ والأمثلة التالية توضح غنى الروابط في اللغة الطّبيعية، وتوجيهها القول نحو الجهة المقصودة. من ذلك قوله: "قال بعض خطباء العراق نحن أكرم بلاداً، [.....] وأكثر خراجاً، لأنّ خراج العراق مائة ألف، وخراج البصرة من ذلك ستون ألف وخراج الكوفة خمسون ألف....."⁽²³⁾.

و تعمل بعض الروابط على الربط بين المقدمة، والنتيجة، وهي تمثّل شرطاً أساسياً لتحقيق الحجاج، لأنّها تتمثل الرّسم القاعدي للحجاج في ربط المعطيات بالنتيجة، وعليه فالأداة "لأنّ" ربطت بين متتاليتين، كما أنّها ميّزت ما بين الحجّة والنتيجة، ويمكن تخريج القول على النحو الآتي:

- الرابط:	←	"لأنّ"
- الحجّة:	←	خراج العراق مائة ألف
- النتيجة :	←	العراق أكثر خراج من البصرة والكوفة

وتقوم بعض الروابط بتوجيه القول نحو نتيجة معيّنة ممّا يجعلها تنطوي على طاقة حجاجيّة تساعد على فهم المقصود من القول، و"بالتّالي" تكسب طابع الموصوليّة وهذا التّرتيب يدعم الحجّة التّتيجه ويوجّهها توجيهاً حجاجياً (orientation argumentative)⁽²⁴⁾

وفي موضع آخر يقول الجاحظ: "إنّ الكلام صار أفضل من الصّمت، لأنّ نفع الصّمت لا يكاد يعدو الصّامت، ولأنّ نفع الكلام يعمّ القائل والسّامع والغائب والشّاهد والرّاهن"⁽²⁵⁾.

الصّمت لا يكاد يعدو الصّامت	الحجة الأولى
الكلام يعمّ القائل والسّامع.	الحجة الثانية
الكلام أفضل من الصمت	النتيجة

• الرّابط "لام التّعليل"

ذكر ابن يعيش (ت 643هـ) أن لام التّعليل "تدخل على غرض الفاعل في فعله، كما تفيد أن ما بعدها غرض، وعلة غائية، لإحداث ما قبلها، وقد تدخل على المصادر، التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم... فكأنّها دخلت... لإفادة أن ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدم"⁽²⁶⁾

ومثال ذلك قوله: "فإنما صارت العداوة بعد المودة أشد، لا اطلاع الصّدّيق على سرّ صديقه وإحصائه معانيه"⁽²⁷⁾

فاللام دخلت على الغرض، إذ أن معرفة أسرار الفرد هو الحامل على مضاعفة العداوة، التي تنتج عن الحسد والبغض، فالرّبط بين المقدمة، والنتيجة كان من خلال الأداة (اللام) التي أفضت إلى قول ضمنيّ يقضي بترك مسافة بين الأصدقاء، وعليه فهذا القول عمل على توجيه سلوك المتلقي، وحثه على الاحتفاظ بخصوصياته، وهذا التوجيه من الغايات التي يسعى إليها الحجاج.

واستعرض الجاحظ في هذا القول مزايا النبذ، فقال: "وان كنت قدّرت أيّ إنّما طلبته منك لأشربه أو لأسقيه أو لأهبه، أو لأتحساه في الخلا، أو أديره في الملا أو لأنافس فيه الأكفاء، أو لأبتذله لعيون الندماء فقد أسأت بي الظنّ وذهبت من الإساءة بي في كلّ مذهب.." (28).

فصلت (لام التعليل) بين الحجّة، والنتيجة، وبيّنت ما يمكن أن يغيب عن ذهن السّامع، وهو ما يبرز جلياً دور الرابط الحجاجي، في تحويل وجهة الخطاب، والتعديل من مواقف المتلقي.

2.3.3. الروابط المدرجة للنتائج:

تتميز الجملة الحجاجية عن غيرها من الجمل، بعدد من المؤشرات اللغوية، والروابط المنطقية، التي تشدّ الأفكار بعضها إلى بعض، وتتدرّج بها إلى نتيجة يريد بها الحجاج، ومن بين الروابط المبرزة للنتائج والتي وردت في الرسائل، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

الرابط "حتى":

تعدّ من الروابط الحجاجيّة، التي تسهم في ترتيب عناصر القول، ويتجلى معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه. وذهب النحاة أنّها " تحتل التعليل والغاية، وإن رجحوا دلالتها على التعليل " (29) وقد بيّن ابن هشام أن "حتى" قد ترد بمعنى كي (30) معنى أنّها أفادت التعليل، وعادة ما يكون القول الذي يرد بعدها الحجّة الأقوى ومنه قول الجاحظ: "فاستعبدتهم الشهوات حتى أعطوها أزمة أديانهم، وسلّطوها على مروءاتهم وأباحوها أعراضهم" (31) وهو ما تبيّنه الخطاطة وهو ما تبيّنه الخطاطة الآتية:

الحجّة	: استعبدتهم الشهوات
الرّابط	: حتى
النتيجة:	أعطوها أزمة أديانهم وأباحوا أعراضهم

الرابط "متى":

يكمن دور الروابط التعليلية، أو المدرجة للحجج، في التوجيه نحو الغاية المرسومة، وقد يكون الدور ترجيحي، ليرجح به وجه على وجه، ومن بين الأدوات التي تقوم إلى جانب الأداة (لأنّ) بالتعليل وتوجيه القول نذكر أدوات الشرط: ومنه قوله أيضا: "واعلم -أبقاك الله- أنا متى قدمنا ذكر المؤخّر وأخّرنا ذكر المقدم، فسد

النّظام وذهب المراتب" ⁽³²⁾ ربطت الأداة بين مضمونيّ جملتيّ الشرط، وأمّا جوابهما فيحمل معنى العموم والإيهام في معانيها الخاصة، ف(متى) ربطتهما برابط الزمان المشترك ⁽³³⁾ فقلوه(متى قدمنا ذكر المؤخّر، وأخّرنا ذكر المقدّم) (فسد النّظام، ذهب المراتب) ربطت (متى) بين الشرط، وجوابه، برابط الزمان المبهم، إذ أنّها دلّت على عموم الزّمان، والإغراق في إيهامه، وهنا تكمن أهميّة أدوات التعليل، لأنّها تفتح المجال أمام المتلقي لامعان التفكير في طريقيّ القول.

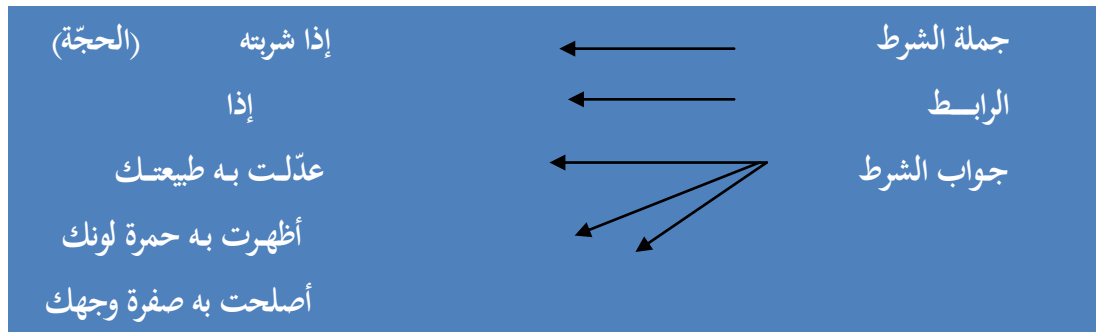
وزيادة قوله: "والقضيّة الصّحيحة والحكم المحمود؛ أنّه متى أدام الحفظ أضّر ذلك بالاستنباط، وإن كان الحفظ أشرف منزلة منه، ومتى أهمل النّظر لم تسرع إليه المعاني، ومتى أهمل الحفظ لم تغلّق بقلبه، وقلّ مكثّها في صدره، وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط،" ⁽³⁴⁾.

نلاحظ أن الرّبط بين المقدمة، والنتيجة بالانتقال من إحدهما، إلى الأخرى في تسلسل معيّن وباستعمال أدوات لغويّة معيّنة، هو ما يسميه "برلمان" (Perlman) بالحجّة التداوليّة، وهي الحجّة التي تمنح فرصة التّقويم لعمل ما، بالنّظر إلى نتائجها المرغوبة، أو غير المرغوبة، ولهذا فإن الحجّة التداوليّة، تضطلع بدور مهمّ في تقويم الأعمال، سواء في وضعها الحاضر، أو وضعها المستقبليّ ⁽³⁵⁾. وعليه فالعلاقة بين المقدمة، والنتيجة تبدو شبه منطقية، فدوام الحفظ ينتج عنه العجز على الاستنباط، كما أن صعوبة الفهم نتيجة إهمال النّظر، فالتسلسل أفرز معقوليّة، وبالتالي شُحن بطاقة حجاجية اقناعية .

الرابط: "إذا الشرطية"

من الأدوات التي تحقق فعل الحجاج (إذا الشرطية)، وهي "تستعمل مع المتوقع وقوعه، فالأصل في "إذا" أن يكون الشرط مقطوعاً بوقوعه" ⁽³⁶⁾ ونضرب أمثلة لنبيّن الحمولة الحجاجية التي توفرها هذه الأداة.

قال الجاحظ: "...أنت تعلم أنّك إذا شربته عدّلت طبيعتك، وأصلحت به صفار جسمك، وأظهرت به حمرة لونك" ⁽³⁷⁾ يمكن تفصيل القول على النحو الآتي:



ربطت أداة "إذا" السّبب، بالمسبب، كما أنّها وجّهت القول نحو وجهة معيّنة، ممّا يجعلها ذات حمولة حجاجية، وما كان القول ليكتسب صبغة حجاجية لولا أداة الشرط (إذا)، فهي من هذا المنظور أداة حجاجية، لأنّها تبرز النتيجة النّاجمة عن الفعل.

3.3.3. روابط التعارض الحجاجي:

يؤكد علماء النحو أن الرابطتين (بل) و(لكن) يتفقان في نفي كلام، وإثبات غيره، ومنه قول الزركشي في هذه المسألة: "... بل حرف إضراب عن الأول، وإثبات للثاني، يتلوه جملة، ومفرد، فالأول الإضراب فيه، إمّا بمعنى ترك الأول، والرجوع عنه وإبطاله"⁽³⁸⁾ كما ذهب إلى أن "لكن للاستدراك مخففة ومثقلة، وحقيقتها رفع مفهوم الكلام السابق .." ⁽³⁹⁾

ومن بين الروابط التي نالت اهتمام ديكرتو (Dicrot) عمل الأداة "mais" في استعمالاتها الحجاجية، والباطالية، والجدير بالذكر أن اللغة الفرنسية توظف الأداة "mais" سواء للإبطال أو الحجاج، بينما توظف اللغة العربية (لكن، بل) لهذا الغرض⁽⁴⁰⁾.

ونشير أن التلّفظ بقول (أ.... لكن.... ب) يستلزم أمرين اثنين هما:

أ- يقدم المتكلم "أ" و"ب" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن" والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المعاكسة للحجة أي "لا - ن".

ب- يقدم المتكلم الحجة الثانية على أنّها الأقوى لأنّها تنسحب على القول بأكمله، وعلى هذا الأساس يخلق الرابطان (لكن، بل) تعارضاً حجاجياً⁽⁴¹⁾، فالشطر الأول من القول يقدم حجة لصالح النتيجة "ن" بينما يقدم الشطر الثاني، من القول حجة مضادة "لا - ن".

ونحاول الكشف عن عمل هذا النوع من الروابط، من خلال بعض الأقوال التي وردت في الرسائل.

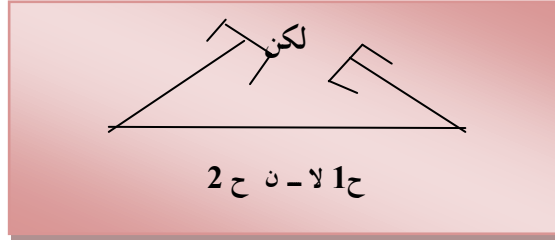
الرابط "لكن"

ترتبط (لكن) بين قولين متفاوتين في القوة، وهي تفيد الاستدراك وهو "تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر، والأوهام التي ترد على ذهن بسببه، و يقضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي"⁽⁴²⁾ فتوظيف أداة الاستدراك (لكن) غاية في إزالة الوهم ف "كأنك لما أخبرت عن الأول، بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره إن سلّبا أو إيجاباً"⁽⁴³⁾.

ونستدل على سمة التوجيه التي تضطلع بها الأداة "لكن" عند دخولها على القول فيأخذ القول طابعه الحجاجي الطابع حجاجي وتوجيه القول بأكمله لصالح النتيجة الثانية بمثلين آخرين تدعيما للمثال الأول.

قال الجاحظ: "ولو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف مما فيه، لكان بإذن الله كافيا لمن كان له عقل، لكن الاحتجاج أوكّد و الإيضاح أبلغ"⁽⁴⁴⁾. ظهر التعارض الحجاجي في القول، بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه، ولذا يمكن القول أن (لكن) أدّت وظيفة حجاجية، وذلك لأنّها وجهت القول نحو وجهة معينة فقوله المتكلم (لو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف ممّا فيه) فهذا الجزء يتضمّن حجة خدمت نتيجة من قبيل (ما جاء في الكتاب كافي واضح)

والشطر الثاني من القول (الاحتجاج أؤكد والإيضاح أبلغ) يتضمن حجة خدمت نتيجة معاكسة، أو مضادة للنتيجة الأولى، وبما أن الحجة الواردة بعد (لكن) هي الأقوى فإن القول كله يتجه نحو النتيجة "لا - ن" والتخطيط الموالي يوضح العلاقة الحجاجية التي خلقتها (لكن):



والجدير بالذكر أن "ح 1" و"ح 2" تشيران إلى الحجج و"ن" ترمز إلى النتيجة، وتشير (لا-ن) إلى النتيجة المعاكسة للنتيجة "ن"، أما الرمز [—] فيشير إلى العلاقة الحجاجية، فالرابط الحجاجي (بل) يربط بين الحجج والنتائج، والنتيجة المضادة (لا-ن) ستصبح نتيجة القول بأكمل (45).

الرابط: "بل"

يوظف الرابط (بل) للإبطال والحجاج، وحدد النحاة الحالات التي يأتي عليها الرابط (بل) إما أن يقع بعده مفرد، أو أن يقع بعده جملة، فإن وقع بعده مفرد فله حالتان:

أ- إن تقدمه أمر أو إيجاب. [...] فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه، ولا يحكم عليه بشيء، ويثبت الحكم لما بعده.

ب- وإن تقدمه نفي أو نهي [...] فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده، أما إذا وقع بعد "بل" جملة فيكون معنى الإضراب (46).

وقد أطلق الدارسون على (الإضراب) تسميات عدة، فمنهم من وضعه تحت عنوان (الرجوع) متناولاً إياه ضمن علوم البلاغة وبالتحديد علم (البدیع)، إذ عرّفوه بأنه: "العود إلى الكلام السابق بالنقض لغرض بلاغي" (47).

وعلل الزركشي اللجوء إلى هذا النوع من الإضراب قائلاً: "إنما يفعل ذلك إذا ابتلي العاقل بخضم جاهل متعصب فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة، لأنه كلما كان تواضعه معه أكثر، كان بعده عن القبول أشد، فالوجه حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة" (48)، وقد أشار صراحة إلى نوعي الإضراب في تناوله (بل) مشيراً إلى أن (بل) تأتي لمعنيين "إما بمعنى ترك الأول والرجوع عنه بإبطاله، وتسمى حرف ابتداء... وإما الانتقال من حديث إلى حديث آخر، والخروج من قصة إلى قصة، من غير رجوع عن الأول، وهي في هذه الحالة عاطفة" (49).

وميز النحاة بين نوعين من الإضراب، الأول أطلق عليه الإضراب الإبطالي وعرفه المبرد بقوله: "التوقف عن الحكم لما قبلها (بل)، وإعطائه لما بعدها مع إبطاله عن الأول" (50).

ومن الأقوال الحاملة لظاهرة الإضراب الابطلائي قوله: "وفي ولد أبي طالب - أيضا - أعجوبة أخرى، وذلك أنه لم يوجد قطّ في أطفالهم طفل يحبو، بل يزحف زحفا لئلا ينكشف منه عن شيء يسوءه" (55).
 "وقد يعجل الخرف إلى أحدث منك سنا ويبطئ عن أطول منك عمرا، بل من هذا الذي يعدّ من السنين ما تعدّ وبلغ من الكبر ما بلغت؟" (51).

كشف الرّابط في المثال الأوّل عن وجود علاقة ، بين الحجّة (لم يوجد في ولد أبي طالب طفل يحبو) والنتيجة، وهي من قبيل (كما تميز كبارهم، كذلك صغارهم)، وعلاقة حجاجية ثانية تتّجه في الاتجاه المضاد، أي؛ الحجّة التي وقعت بعد (بل) وهي (أطفالهم... يزحفون)

كما ترد (بل) في مواضع أخرى للانتقال من كلام ، إلى كلام دون إرادة إبطال الكلام الأوّل، واثبات الثاني، وهو ما يسمى بـ (الإضراب الانتقالي)، والذي تنتقل فيه الجملة الإضرابية من معنى، أو غرض إلى معنى وغرض آخر، من دون إرادة إبطال الكلام الأوّل، أو نفيه، وقد أكّد الزجاجي (ت340هـ) ذلك بقوله في (بل):
 "وتكون [بل] لتترك شيء من الكلام وأخذ في غيره" (52).

ومن أمثلة ذلك قوله: "ولو أدركك عمر بن الخطاب لصنع بك أعظم ممّا صنع بنصر بن الحجاج، ولركبك بأعظم ممّا ركب به جعدة السلمي، بل لدعاه الشغل بك إلى ترك التّشاغل بهما". (53)

وإذا ما استقرينا المواضع المذكورة آنفاً لسياق الإضراب الانتقالي نلمح تحقق نوع من التقابل في جملة الإضراب، ليشكل طرفي الإضراب طرفاه، حيث تربط (بل) بين مجموعة من الحجج المتساوقة ومن هنا "ترادف (بل) (وحتى) ، فهي إذن تعبّر عن التّساوق الحجاجي Co orientation argumentative (54) وطبعاً تظهر الحجّة التي وردت بعد (بل) هي أقوى الحجج .

4.3.3. روابط التّساوق الحجاجي:

الرّابط "الواو":

تقوم حروف العطف كالواو، والفاء، والحروف المدرجة للنتائج كالحرف (إذاً)، وحروف التّساوق الحجاجي، كالحرف (حتى)، بالرّبط بين وحدتين، أو مقولتين، أو أكثر في إطار إستراتيجية قولية واحدة (55)، وهذه الرّوابط، أو القيود الاستدلالية التي تلعب دوراً هاماً في اتساق النصّ، وربط أجزائه، تساهم في بناء الأقوال غير المصّرح بها، بفضل مختلف الاستنتاجات التي يقوم بها المتخاطبون أثناء الخطاب (56)، وكلّ ما يتمخض عنها من قوة حجاجية، تتركز على انسجامية مطلقة بين السّلم الحجاجي، والرّابط الحجاجي (57).

ولشرح فاعلية الرّوابط في فتح المعنى، و نأخذ المثال من رسالة الحاسد، والحسود يقول الجاحظ: "الحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضدّ الحق" (58).

في التّحليل المنطقي، والتّحوي لا نجد اختلافات دلالية، لو قلنا:

أ- الحسد حليف الباطل، وعقيد الكفر، وضدّ الحق .

ب- الحسد ضد الحق، و^{١٠} حليف الباطل، و^{١١} عقيد الكفر.

ج- الحسد عقيد الكفر، و^{١٢} حليف الباطل، و^{١٣} ضد الحق

لا يوجد تضارب في الدلالة بين الجمل الثلاثة، لأنّ "الواو" حرف عطف، وربط وقد ربط بين العبارات "عقيد الباطل" و"حليف الكفر" و"ضد الحق" لكن، إذا نظرنا إليها من جانب تداولي، وجدنا حرف العطف يقوم بوظيفة استغلال الموضع (topos) ⁽⁵⁹⁾ بين الأقوال، كما يُبيّن الفروق الموجودة بين هذه الأقوال، بمعنى؛ أن الأهمّ الذي يلي المبتدأ، مباشرة هو الخبر، و هو أهمّ من الذي يحتل المرتبة الثانية، وهو الاسم المعطوف على الخبر فالقريب أهمّ من البعيد، فتقدم الكفر على الباطل، يجعل من القول أكثر تأثيراً، لأنّ الذنوب جميعها لا ترقى إلى درجة الكفر، لذلك احتل الكفر هذه الرتبة، وبالمقابل احتل الباطل المرتبة الثانية، لأنّه أقلّ درجة من الكفر، وتأخر الاسم المعطوف الثالث لأنّه أقلّ حمولة حجاجية، من هذا المنظور نبتعد عن الدلالة التقليدية، التي ترى أن حرف الواو يفيد العطف، والمصاحبة.

4. الخاتمة

تؤدي الرّوابط اللغوية دوراً هاماً في ترتيب الحجج، كما أنّها تبرز النتيجة، من خلال توجيه القول الوجهة التي ارتضاها الخطاب، بالإضافة إلى مساهمتها في الحفاظ على انسجام النص، واستمراره، وتعين على التدرج في فهم موضوع الخطاب، بفضل عملها التوجيهي، وهذا خدمة للغاية الحجاجية التي من أجلها أنتج الخطاب. واصطبغت الرّوابط اللغوية، بالصبغة الحجاجية، لقدركتها على توجيه القول، نتيجة الحمولة الحجاجية التي تتوفرها عليها، ومنها المدرجة للحجج مثل (لام التعليل، لأنّ..)، ومنها المدرجة للنتائج من قبيل (لذلك، كي..)، وروابط التعارض الحجاجي، كل ذلك لإبراز الحجج، وتفعيلها في الكلام، مثل (بل، لكن) بالإضافة إلى روابط التساوق الحجاجي (الواو، ثم، الفاء، حتى). وعليه فالروابط اللغوية لا ينحسر دورها في الربط بين جملتين، أو قولين، بل يتعدى ذلك إلى تحديد مسار القول وتثبيته.

5. الهوامش

- (1) دو مينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد بيجاتن، منشورات الاختلاف، الجزائر ص12.
- (2) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات الحجاج والتواصل، إفريقيا الشرق، المغرب 2010، ص82.
- (3) أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، العمدة في الطبع، المغرب، 2006، ص14
- (4) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآن، قدور عمران، ، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص30
- (5) ينظر: الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال، (د.ط)، 2008م، مادة (ربط)، وأحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م
- (6) المصري، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1997م، مادة (ربط).
- (7) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، ص 316، والزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، 1994م، ص 141.
- (8) ابن عباد صاحب، إسماعيل أبو القاسم، المحيط في اللغة، مادة (ربط)

- (9) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب البلدي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1928، ص9
- (10) أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة، 1378هـ-1954م، ص44.
- (11) عبد الرحمن بن محمد بن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، كتبه: محمد بن إسماعيل بن بكر الحميدي الشافعي، مكتبة مشكاة الإسلامية، 2004، ص14.
- (12) محمد التنوخي، راجي الأسماء، المعجم المفصل في علوم اللغة، مراجعة: إميل يعقوب، المجلد1، دار الكتب العلمية، ط1، 2001، ج1، ص267.
- (13) فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص82.
- (14) الجرجاني، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، ص54.
- (15) ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط12، 1997، ص64.
- (16) عباس حسن، النحو الوافي، ج1، دار المعارف، ط3، 1966، ص62.
- (17) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر الجاهلي، ص168.
- (18) انظر: أبو بكر العزوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ص26. 27.
- (19) انظر: محمد مصطفى شليبي، تعليل الأحكام، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص12.
- (20) انظر: السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق وتعليق: محمد صديق المنشاوي، ص22.
- (21) عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2004، ص80.
- (22) المرجع نفسه، ص80.
- (23) الجاحظ، رسالة الأوطان والبلدان، تحقيق علي ملحم، مكتبة الهلال، لبنان، 2004، ص122.
- (24) وتيكي كميلا، الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة، ط1، دار قرطبة 2004م، ص295.
- (25) الجاحظ، رسالة تفضيل النطق على الصمت، ص302.
- (26) موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، شرح المفصل، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2001 م، ج6، ص20.
- (27) الجاحظ، رسالة كتمان السر وحفظ اللسان، ص100.
- (28) الجاحظ، رسالة الشارب والمشروب، ص549.
- (29) انظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد ندم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1992 م، ص202.
- (30) جمال الدين بن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب، تحقيق علي فودة، ط1، الرياض، 1399هـ-1979م، ص72.
- (31) الجاحظ، رسالة المعاد والمعاش، ص70.
- (32) الجاحظ، رسالة المعلمين، ص200-201.
- (33) مهدي المخزومي، في النحو "نقد وتوجيه" دار التراث العربي، بيروت، ط2، 1406هـ-1986، ص291.
- (34) الجاحظ، رسالة رسالة المعلمين، ص204.
- (35) عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، إشراف إسماعيل العلوي، ص83.
- (36) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إسماعيل، ج4، ص257.
- (37) الجاحظ، رسالة الشارب والمشروب، ص198.
- (38) الزركشي، الرهان في علوم القرآن، ج4، ص257.
- (39) المصدر نفسه، ص286.
- (40) أنظر: أبو بكر العزوي، اللغة والحجاج، ص57.
- (41) المرجع نفسه، ص58.
- (42) موفق الدين بن يعيش النحوي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، ج8، ص501.

- (43) المرجع نفسه، ص 502
- (44) الجاحظ، رسالة المعلمين، ص 110
- (45) ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 67
- (46) انظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد ندم فاضل، ص 204
- (47) عبد الله الفرهادي، أحسن الصياغة في حلية البلاغة، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1967م، ص 298.
- (48) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إسماعيل، ج 3، ص 383.
- (49) المصدر نفسه، ج 4، ص 385.
- (50) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ج 1، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1415هـ-1994م، ص 13.
- (51) الجاحظ، رسالة الأوطان والبلدان، ص 108-109.
- (52) أبو القاسم الزجاجي، حروف المعاني، ط 1، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الأردن، 1984م، ص 6.
- (53) الجاحظ، رسالة التريب والتدوير، ص 464.
- (54) ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 68.
- (55) المرجع نفسه، ص 29-30.
- (56) انظر: عمر بلخير، معالم للدراسة تداولية وحجاجية الخطاب الصحافي الجزائري رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005. 2006، ص 191.
- (57) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 84.
- (58) الجاحظ، رسالة الحاسد والمحسود، ص 120.
- (59) صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 41.

6. قائمة المراجع:

- (1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون (لبنان، دار الفكر، لبنان، 1979)
- (2) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (لبنان، دار المعرفة، 1990)
- (3) أبو بكر العزاوي، أبو بكر، الحجاج في اللغة (المغرب، العمدة في الطبع، 2006)
- (4) بلخير، عمر، معالم للدراسة تداولية وحجاجية الخطاب الصحافي الجزائري، (قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006)
- (5) جمال الدين بن منظور، لسان العرب (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1997)
- (6) جمال الدين بن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب، (جامعة الرياض، السعودية، 1979).
- (7) حسن عباس، النحو الوافي، (القاهرة، دار المعارف، 1966)
- (8) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (2008 الجزائر، مكتبة دار الهلال، 2008)
- (9) دو مينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن (الجزائر، منشورات الاختلاف، 2005)
- (10) عبد الرحمن بن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، (الكويت، مكتبة مشكاة الإسلامية، 2004)
- (11) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر الجاهلي، (أرد، الأردن، عالم الكتب، 2008)
- (12) ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، (القاهرة، دار غريب، 1997)
- (13) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات الحجاج والتواصل (المغرب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010)
- (14) السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، (القاهرة، دار الفضيحة).
- (15) صابر الحباشة، التداولية والحجاج، (دمشق، صفحات للنشر، 2008)
- (16) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تح: محمد آل ياسين، (لبنان، عالم الكتب، 1992)
- (17) أبو العباس المبرد، المقتضب، (القاهرة، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1994)
- (18) عمر بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، تح: علي ملحم، (لبنان، مكتبة الهلال، 2004)
- (19) فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977)

- (20) أبو الفتح عثمان بن جني، اللمع في اللغة، (الكويت، مكتبة مشكاة الإسلامية، 2005)
- (21) أبو القاسم جبار الله الزمخشري، أساس البلاغة، (لبنان، دار الكتب العلمية، 1989).
- (22) أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، (بيروت، دار النفائس، 1997)
- (23) قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآن (الأردن، عالم الكتب الحديث، 2012)
- (24) كميلة، وتيكي، الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (الجزائر، دار قرطبة، 2004)
- (25) عبد الله الفرهادي، أحسن الصياغة في حلية البلاغة، (العراق، مطبعة سلمان الأعظمي، 1967)
- (26) أبو محمد بدر الدين المالكي، الجني الداني في حروف المعاني، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992)
- (27) محمد التنوخي، المعجم المفصل في علوم اللغة، (لبنان، دار الكتب العلمية، 2001)
- (28) محمد مصطفى شلي، (تعلييل الأحكام، بيروت، دار النهضة العربية، بيروت، 1981)
- (29) محمد اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985)
- (30) مرتضى الزبيدي، تاج العروس، (لبنان، دار الفكر، لبنان، 1994)
- (31) مهدي المخزومي، في النحو "نقد وتوجيه"، (بيروت، دار الرائد، 1986).
- (32) موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2001).
- (33) عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته (لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004).